المَبْحَثُ الأَوَّلُ

ولادة مريم وكفالة زكريا لها

لم تتطرَّق الأناجيل الأربعة الرَّسـمية لدى النَّصارى اليوم إلى أيِّ ذكرٍ عـن ولادة مريم، بل نلاحظ أنَّ الحديث عنها يبدأ عند بشارة الملاك لها بعيسى ابنها. فأمَّا ولادتها، وماسبق ذلك من دعاء ونذرٍ مـن أمِّها على أن توقـف مولودها على خدمة البيـت المقدَّس، وما ترتَّب على ولادتهـا بعد ذلك بنتاً خلافاً لما كانـت تتوقَّعه امرأة عمران، وما تبع ذلك من توسُّـلٍ منها إلى الله أن يقبلها بدل الولد.ثمَّ ماكان من رؤساء بيت المقدس -الهيكل- حيال مريم ومن يكفلهـا، وكيف اتَّفقوا فيما بينهم على إجراء القرعة عليها، حتـى فاز بها في النِّهاية زوج خالتها زكريا عليه السلام.

كلُّ هـذه النِّقاط وغيرها عـن مريم وأمِّهـا ضربت عنها الأناجيل الرَّسـمية صفحاً، بينما نجد في بعض الأناجيل الَّتي يزعم النَّصـارى أنها منحولة، بعض حديـثٍ عن ولادة مريم

ونـــذر أمِّها لها، كإنجيل (يعقوب بن زَبَـــدَى). ما يدلُّ على أنَّ ماذكر في الأناجيل الرَّسمية إنَّما هو منتقًى من مصادر شتَّى قد خضع للمصلحة الشَّخصية والهوى.

ونجد في القرآن الشُّـــمول والإحاطـــة لجميع تلك النِّقاط وغيرها فيما يتعلَّق بمريم ومولودها. قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٧].

وعن كفالة زكريـــا عليه السلام مريم يقول اللـــه تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

فزكريا عليه السّـــلام تَّمت له كفالة مريم عن طريق القرعة، فنشأت في كنفه نشأةً صالحةً لم يمسَّها أحدٌ بسوءٍ، ولم تتَّصل بأحدٍ ســـوى زوج خالتها نبي الله زكريا الَّـــذي أقامه الله على

كفالتها يرعى مصالحها، ويؤمِّن عيشتها. وهذه الطَّريقة في العيش والنَّشأة تجعل مريم ابنة عمران في منأى عن كل قولٍ جارحٍ أو هوًى غاشمٍ في النُّفوس. وما علاقة يوسف النَّجار بها - كما يزعم النَّصارى - إلا دسيسة من دسائس اليهود لتلطيخ سمعة مريم أمِّ عيسى عليهما السَّلام.

وليثبتوا قولهم باستحالة مولد إنسان من أنثى بلا ذكرٍ، وليلبِّسوا على النَّاس دينهم: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] ولعل من أهم الأسباب وأوضحها لإغفال كتب اليهود والنصارى ذكر شيء عن حديث عيسى ابن مريم في مهده بعد ولادته، وهو ما حدث له من معجزة في مهده عندما نطق دفاعاً عن شرف أمه، فكان أول ما قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] فهو اعتراف صحيح من عيسى عليه السلام بعبوديته لله. وهم قد زعموا أنه ابن الله، بل إله.

فلو أثبتو ذلك في كتبهم لكان حجة عليهم، وتكذيباً لما زعموه. ولا يستطيعون تكذيبه أو تحريفه؛ لأن حادثة الكلام في المهد ليست من الأمور المعتادة، فستتناقلها الألسن، وتسري بها الركبان.

طلب زكريا الولد ومولد يحيى عليهما السَّلام:

جاء في إنجيل (لوقا) الفصل الأوَّل حديثٌ عن زكريا عليه السلام بأنَّه كاهنٌ من كهنـــة اليهود، عاش في أيـــام (هيرودس) ملك اليهود. وزوجته من بنات هارون، اســـمها (اليصابات) بارَّيْن مُنَفِّذين لوصايا الرَّبِّ، لـــم يرزقه ذرّية؛ لأنَّ اليصابات عقيم لا تلد وزكريا شـــيخٌ تقدَّمت به السّـــنُّ. وقد اعتاد الكهنة على أن يقترعوا بينهم ليقوم من تصيبه القرعة بتبخير هيكل الرَّب.

فوقعت القرعة على زكريا ذات مرَّة، فدخل الهيكل فتراءى لـــه ملاك الرَّب هناك فخاف واضطرب فهدَّأ الملاك من روعه، وبشَّـــره بأنَّ طلبه قد استجيب، وأنَّ امرأته ســـتلد له ابناً يسمّيه (يوحنا) يفرح به كثيراً، وســـتكون له منزلـــةٌ عاليةٌ عند الله، لا يشرب الخمر ولا مسكراً، ويهدي الله به كثيرًا من بني إسرائيل.

فطلب زكريا من الملاك آيةً لوقـــوع ذلك. فأكد له الملاك بأنَّه جبرائيل مرســـلٌ من الله، وأنَّه جاءه من الله مبشِّراً بذلك؛ وأن زكريا ســـيظلُّ صامتاً لايقوى على الـــكلام إلى يوم مولد يوحنا، عقوبة له على شـــكّه في كلام الملاك وطلبه آيةً لذلك. وقد تعجَّب الشَّـــعب من إبطائه في الهيـــكل، ولمَّا خرج إليهم

كان يشـــير إليهم بالإشـــارة، فعلموا أنَّه رأى في الهيكل رؤيا. وبعد انتهاء مـــدَّة خدمته في الهيكل عاد إلى بيته والتقى زوجته اليصابات الَّتي حبلت بعد تلك الأيام منه.

وأمضت بعد ذلك خمســـة أشـــهرٍ مختبئة فـــي بيتها، وفي شهرها السَّادس جاءت إليها مريم ابنة عمران الَّتي ما أن سلَّمت عليها حتَّـــى ارتكض الجنين في بطن اليصابـــات. وبعد ثلاثة أشـــهر تم زمان حمل اليصابات فولـــدت ابنًا. اختتن في اليوم الثَّامن من عمره، وأســـماه أبوه يوحنا عن طريق لوح كتب فيه ذلك. وعندها انطلق لسان زكريا عليه السلام، وأصبح يتكلَّم.

هذا فحوى مـــا جاء في الإنجيل(لوقا) عـــن زكريا ومولد يحيى عليهما السَّلام.

وأما ما جاء فـــي القرآن الكريم في هـــذا الصَّدد فهو على النَّحو الآتي:

بعد أن رأى زكريا عليه السلام ما مـــنَّ الله به على مريم ابنة عمران الَّتي هو كافلها من كراماتٍ، وما أحاطها به من كريم عنايته ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]، توجَّه إلى ربّه يســـأله

الولد بعد أن يئس منه وفق حقائق البشـــر وقوانينه. قال تعالى:
﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ
٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ
مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ
بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ
ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ
بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٣٨-٤١].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ
وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران: ٤١] وفي سورة
مريم جاء ذكر زكريا عليه السلام وبشارته بصورةٍ أخرى قال تعالى:
﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا
٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ
شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن
لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ
إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل
لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ
ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١-١١].

ففي آيات ســورة مريم وصفٌ معبر عن الحالة الَّتي بلغها زكريا عليه السلام من تقدُّمٍ في السّن ظهر واضحاً في خفوت صوته عند دعائه ربِّه، وفيما أصاب عظمه من وهنٍ، وفي لون شـــعر رأسه الَّذي تحوَّل إلى اللَّون الأبيض علامة الكبر.

وعند الموازنـــة بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن العظيم عن زكريا عليه السلام نلاحظ مايأتي:

وصف الإنجيل زكريا عليه السلام بأنَّه كاهنٌ من كهنة اليهود يبخر في الهيكل. والكاهن: الَّذي يدَّعى علم الغيب، ويتولَّى -عند اليهود- الإشــراف على القرابين الَّتي تُقدَّم للهيــكل. بينما زكريا عليه السلام في القرآن نبيٌّ من أنبياء بني إســرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن الشّــرك، ذكره الله في زمرة الأنبياء عند قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنعام: ٨٥].

والإنجيل لم يذكر ســبب طلب زكريا عليه السلام للولد، بل اكتفى بالقول: إن طلبه قد أُجيب، وبشَّره الملاك بأنَّ امرأته ستلد له ابناً.

ونجد في القرآن أن زكريــا عليه السلام عندما طلب من ربّه الولد ذكر لذلك أســباباً منها: تقدُّمه في السّن ورغبته في أن يكون له

وريثٌ من أهله يرث الدَّعــوة إلى الله من بعده؛ ليضمن بذلك استمرارية الدَّعوة إلى الله في قومه.

فهذه غايةٌ نبيلــةٌ تليق بنبيٍّ من أنبياء الله، وليســت مجرَّد تحقيق شهوة البنوَّة.

ويبدو في الإنجيل أنَّ شــخصية يحيى عليه السلام قد طغت على شخصية زكريا والده، فقد نصَّ على أنَّ يحيى مترلته عالية عند الله، وأنَّ الله يهدي به كثيراً من بني إســرائيل. وفي ذلك إنكارٌ مغلَّفٌ لنبوَّة زكريا عليه السلام، ومحاولة ربط حياة يحيى بحياة المسيح عليهما السَّــلام ربطاً يظهر معه التَّمازج المطلق بينهما، فتطغى شخصية المسيح. وليس هذا شــأن القرآن، فقد أفرد لكلّ من زكريا ويحيى عليهما السَّــلام حديثاً صادقاً يليــق بهما، نبيِّين كريمين ومدحهما بقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وورد في الإنجيل أن الخَرَسَ الَّذي أصاب زكريا عليه السلام إنَّما هو عقوبة له؛ لأنَّه شــكَّ في كلام المــلاك، وطلب إثباتاً على صحَّة ما بشَّره به.

ونصَّ الإنجيل أيضاً على أنَّ زكريا عليه السلام بقي أخرسَ لا يقوى على الكلام إلى أن ولد له يحيى عليه السلام، وجاؤوا به إليه ليسـمّيه، فكتب في لوحٍ رغبته في أن يسمّى يوحنا، بعد ذلك عادت إليه قدرته الأولى على الكلام.

وليس الأمر كذلك في القـرآن، بل هو يختلف تماماً. فلم يكن زكريا عليه السلام أخطأ في حقِّ أحدٍ حتى يستحقَّ عقوبة الخرس، ولم يكن زكريا النَّبي ذا إيمان مهزوز بقدرة الله المطلقة في أن يرزقه ابناً، وهو في مثل سـنّه تلك، وفي مثل ظروف زوجه، بل أراد من سـؤال آيةٍ على ذلك أن يحدّد علـى وجه الدّقة وقت حدوث ذلك الحبل من زوجه؛ ليسـتريح مـن عناء الانتظار. فجعل الله آية حدوث ذلك من زوجه هو أن يُصاب بعدم القدرة على الكلام مع السَّـلامة الَّتامة لمراكز الكلام لديه، وذلك مدّة ثلاثـة أيام بلياليها، وليس كما جاء في الإنجيل أنَّ مدَّة الخرس امتدَّت إلى اكثر من تسـعة أشهر؛ لأنَّه بدأ في عدم القدرة على الكلام منذ أن بُشّـر باستجابة طلبه، إلى أن طُلِب منه أن يُسمّي ابنـه. وهي مدّة طويلة عطلت زكريا عليه السلام عـن الدَّعوة والإفتاء والإرشـاد إلى الله باعتبار أنه نبي من أنبيـاء الله، ولكن الَّذي

جاء في الإنجيل عنه يشير إلى أنَّهم لم يعتبروه نبيًّا بل كاهناً من كهنة اليهود يعمل على تبخير الهيكل، ليس له احتكاكٌ مباشرٌ ولا متواصل مع النَّاس، بل يقوم على خدمة الهيكل والإشراف على القرابين الَّتي تقدَّم إليه. وفي ذلك مساسٌ، كما لا يخفى بشخصية النَّبي زكريا عليه السلام.

وورد في الإنجيل أنَّ لقاء تمَّ بين زوج زكريا عليه السلام اليصابات وبين مريم ابنة عمران قبل أن تلد الأولى يحيى بثلاثة أشهر، وبعد أن بُشّرت مريم بالمسيح عليه السلام، وعندما التقت المرأتان وسمعت اليصابات سلام مريم عليها شعرت بجنينها يرتكض في بطنها، وفسَّرت ذلك - بزعمهم - أنَّه من الابتهاج، وعبرت عن فرحتها بذلك قائلةً: (من أين لي هذا أن تأتي أمُّ ربي إلي)[1].

وواضح من النَّص أنَّ مريم عندما أرادت القيام بالزّيارة انتقلت من النَّاصرة في الجليل، حيث تسكن، وحيث تلقت بشارة الملاك، إلى مدينة يهوذا في الجليل، حيث تسكن اليصابات مع زوجها زكريا.

(١) إنجيل لوقا: ١/ ٤٣.

بينما نجد أنَّ القرآن الكريم لـم يذكر قصَّة اللِّقاء هذه ولا قصَّة ارتكاض الجنين في بطن أمّه من الابتهاج أو غيره.

بل الَّذي أكَّده القرآن الكريم هو أنَّ مريم عليها السَّـلام قد نشـأت تحت كفالة زكريا منذ أن جاءت بها امُّها إلى الهيكل، وفاز بها عن طريق قرعـة. فهي لم تغادر المحراب الَّذي أقامه لها في الهيكل إلا في فترة حيضها والاغتسـال منه، وذلك بعد أن بلغت مبلغ النسـاء. وعند قضاء حاجتها. وكانت لا تلتقي مدَّة إقامتها بالهيكل إلا زكريا ﷺ بدليل أنَّه قد تعجَّب من أمرها عندما رأى عندها رزقاً لم يأتِ به، وسـألها عن مصدره قائلاً: ﴿يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ۝﴾ [آل عمران: ٣٧] فزكريا عليه السَّـلم ومريم لم يفترقا إلى أن بُشرت مريم بابنها عيسـى ﷺ. وما زوج زكريـا إلا خالتها، تلتقي بها كلَّما زارت زكريا قادمةً من الهيكل، ولا يعدو كون المطرَحَيْن في منطقةٍ من حيّ واحدٍ.

وأمَّا قول اليصابات (مـن أين لي هذا أن تأتي أمُّ ربِّي إلي) فهو قولٌ أقل ما يقال عنـه: إنَّه تكلُّفٌ في القول والاعتقاد. ثمَّ كيف علمت بوجود ربها في بطن أمّه؟ وكيف فسَّرت ارتكاض

جنينها في بطنها أنَّه من الابتهاج بلقاء مريم؟ أمن الجنين الَّذي في بطنها؟ أم أخبرها زكريا بذلك؟ ولماذا لم يحضر زكريا عليه السلام بنفسه ليلتقي الرَّب الجنين؟!.

ونجد في القرآن الكريم وصفاً ليحيى عليه السلام بأنّه: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ...﴾ [آل عمران: ٣٩] وكلمة الله هو عيسى ابن مريم، وتصديق يحيى على اعتبار ما سيكون من شأنه وشأن عيسى عليه السلام مستقبلاً. فكما هو معروفٌ، فإنَّ عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهما السلام كانا متعاصرين.

ونحن نقول: إنَّ بين كلمة (أن تأتي أمُّ ربّي إلي) وبين كلمة (مصدقا بكلمة من الله) بوناً شاسعاً في المعنى العام الذي يشير إليه اختلاف خلق المسيح ابن مريم في البدء عن كل البشر، إلا أنَّ كلمة اليصابات -كما يزعمون- سابقة لأوانها، إذ لم يولد عيسى بعد ولا أخبر بأنَّه ابن الله أو أنَّه إلهٌ من إلهٍ - كما يعتقد بعض النَّصارى - ويحيى لم يولد بعد، فكيف جاءت اليصابات بهذه الكلمة؟ أليست هذه كلمة أشبه ما تكون بالوضع عليها في ذلك الوقت واستمرّت إلى يومنا هذا؟.

أما قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩] فالتَّصديق لا يكون إلا بعد الولادة وبعد النُّمو إلى بلوغ الرُّشد، حيث يكون تكامل العقل ومعرفة البرهان، فيؤمن يحيى عليه السلام -كما وقع منه- أنَّ عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأنّه لم يأتِ عن طريق الأسباب والمسبّبات بتزوُّج أمّه من رجلٍ، بل جاء بكلمةٍ من الله: ﴿كُن﴾ [آل عمران: ٤٧] جنيناً في رحم أمّه مريم حين نفخ ملك الوحي جبريل فيها، فكان.

وقد يكون من المعقول جدًّا أن مجيء يحيى كان توطئةً لمجيء عيسى ابن مريم عليه السلام؛ لما بينهما من تقاربٍ وشبهٍ في ظروف حياتهما من قبل ومن بعد.

فيحيى من عقيمٍ لا تلد ومُسِنَّيْنِ، وعيسى ابن مريم من أنثى بلا ذكرٍ، وكان مجيء يحيى من عقيم أقلَّ غرابة من مجيء عيسى من عذراء لم يمسسها بشرٌ.

ولَّما كان مجيء يحيى قريباً إلى تصديق العقول مع ما يصاحب ذلك من غرابةٍ، كان سابقاً لمجيء ابن مريم عليهما السَّلام وتوطئةً له.